جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

قضية إثبات الألوهية في مذاهب التفسير الإسلامي

(دراسة حجاجية)

بحث مُقدَّم لنيل درجة الماجستير

إعداد الباحثة

ندا رشاد عثمان رشاد

مُعيدة بقسم اللغة العربية وآدابها

إشراف

أ.د. محمد إبراهيم الطاووس **أ.د. طارق سعد شلبي**

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وتقـــــديـــــر

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكلٍّ من:

أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ محمد الطاووس؛ لما بذله من جهدٍ في توجيه هذه الرسالة حتى ظهرت في شكلها النهائي.

كما أتوجّه بالشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ طارق شلبي لإشرافه الكريم على هذه الرسالة.

كما أتقدم بخالص الشكر للجنة المناقشة والمكونة من الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوض، والأستاذ الدكتور/ محمد العبد؛ لقبولهما مناقشتي هذا العمل المتواضع؛ كي أفيد من علمهما وتوجيهاتهما لخروج هذه الرسالة في أبهى صورة فجزاهما الله عني خير الجزاء

وأتقدم بخالص تقديري وامتناني لزوجي الحبيب ووالِدَيَّ الغاليين؛ لمساندتهم لي طَوال أعوامِ البحث، ولم يبخلوا عليَّ بأيِّ شيءٍ، وكانوا سبب خروج هذه الرسالة إلى النور.

أسأل الله تعالى أن يُسبلَ عليهم من جزيل فضله إنه أهل ذلك والقادر عليه .

الفهرس

مقدمة	أ
تمهيد	١
هل الحجاج تقنية أم منهج	٣
تعريف الحجاج	٥
الحقل الدلالي لكلمة الحجاج	١٣
١-الحجاج عند الغرب	٢٠
٢-الحجاج في الثقافة العربية	٢٦
٣-آليات الحجاج	٢٧
٤-السياقات التي يستعمل فيها الحجاج	٢٩
٥-عقبات وصعوبات الدراسة	٣٠
الباب الأول : قضية إثبات الألوهية.	٣١
الفصل الأول : أدلة إثبات الألوهية.	٣٢
١-تناول المفسرين لقضية إثبات الألوهية	٣٤
٢-المبحث الأول : دليل الخلق ودليل الملك	٣٦
٣-المبحث الثاني : دليل العناية والرعاية ودليل التنزيه والكمال	٥٨
٤-المبحث الثالث : دليل السببية ودليل الحاجة والضعف	٧٣
٥-مكونات البنية الحجاجية عند المفسرين	٨٠
الفصل الثاني : الألوهية من منظور الفكر الإلحادي	٨٣
١-مفهوم الإلحاد في التفسير	٨٥
٢-منكرو الألوهية في القرآن	٨٨
٣-قضايا الإلحاد المعاصر	٩١

٤-الله والإنسان	٩١
٥-حقيقة الدين	٩٩
٦-الرد على دوكنز في مسألة الدين	١٠٣
٧-الأخلاق و الإلحاد	١٠٥
الباب الثاني : الحجاج وقضية إثبات الألوهية	١١٠
الفصل الأول : دور الحجاج اللغوي في قضية إثبات الألوهية	١١١
١-الرؤية الحجاجية لدى المفسرين	١١٢
٢-الحجاج اللغوي و آليات الحجاج	١١٣
١-ألفاظ التعليل	١٢١
٢-الوصل السببي	١٢٢
٣-التركيب الشرطي	١٢٤
٤-الأفعال اللغوية	١٢٥
٥-الحجاج بالتبادل	١٢٩
٦-الوصف	١٢٩
٧-تحصيل الحاصل	١٣٠
٨-الحجاج في الكلمة المفردة	١٣٢
١-الدلالة الصوتية	١٣٣
٢-الدلالة الصرفية	١٣٧
٣-الدلالة المعجمية	١٤٧
٩-الدور الحجاجى للتراكيب	١٥٨
١-أدوات الــتأكيد	١٦٠
٢-القصر والاستثناء	١٦٢
٣-ظاهره التكرار	١٦٣

٤-بنية الاعتراض ودورها الحجاجى في تفسير الظلال	١٦٨
٥-دراسة البنية التوجيهية في أسلوب الأمر	١٧٢
الفصل الثاني : الآليات البلاغية والمنطقية في قضية إثبات الألوهية	١٧٦
المبحث الأول : ١- تقسيم الكل إلى أجزائه	١٨١
١-التمثيل	١٨٢
٢-مفهوم الصورة عند المفسرين	١٨٦
٣-بنية الاستعارة وخصائصها	١٨٩
٤-التشبيه	١٩٣
المبحث الثاني : الآليات المنطقية أو العقلية	١٩٦
١-السلم الحجاجى	١٩٧
٢-الاستدلال وأنواعه	٢٠٣
٣-الاستدلال بالحديث النبوي	٢٠٥
٤-الاستدلال بالشعر	٢٠٨
٥-الاستدلال بالشرح والتعليق	٢١٢
الخاتمة	٢١٨
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٣
ملخص عربي	٢٣٤
مستخلص عربي	٢٣٥
ملحق	٢٣٧

المقدمة

مُقَدِّمَةٌ

سؤالٌ أصبح يتردد بشكلٍ كبيرٍ في أذهان الكثيرين اليوم: هل لهذا الكون إله؟

وما أظنُ أنَّ العقل اليقظ يشعر بالرضى حيال دعوى خطيرة كدعوى بداهة هذه القضية؛ فدعوى البداهة فيها استهانة بشأنها وصرف للعقول عن فحصها.

إنَّ قضية وجود إله لهذا الكون من أهم القضايا التي شغلت الإنسان عبر العصور المختلفة؛ ذلك أنَّ الطبيعة البشرية تميل بفطرتها إلى وجود قوى عظمى تنتمي إليها وتخضع لها وتلجأ إليها وقت الحاجة، وهذا يفسر لنا اتجاه الإنسان لاتخاذ معبودٍ أيًّا ما كان نوعه، فمنذ الحضارات القديمة نجدُ الإنسان قد اتجه إلى عبادة الشمس والنجوم والكواكب وغيرها من المعبودات، حتى ظهرت فكرة توحيد الآلهة وجعلها معبودًا واحدًا، ومع تقدم النظام الحضاري للإنسان واتجاهه نحو العلم والمدنية ظهرت تيارات متعددة تنادي بأنه لا خالق لهذا الكون، وأنه قد وُجِدَ مصادفةً، وأنَّ كلَّ إنسانٍ من حقه أن يؤمن بوجود خالق أو لا يؤمن، أو أنه لا وجود لهذا الخالق على الإطلاق .

لكن مع الانفتاح الذي يشهده العالم الآن وتقدم وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة، ظهرت اتجاهات جديدة تطرح قضايا تتصل بفكرة الألوهية، واتسعت مساحة الأسئلة من: ماذا أفعل ؟ ليصل السؤال إلى: لماذا أفعل ؟

فقد أصبح كل ما هو مقدس الآن موضوع نقاش، فظهرت لنا أسئلة متعددة منها:

هل الإيمان بوجود إله في زيادة أو انحسار؟

هل الإيمان بوجود هذا الإله يؤدي إلى السلام الداخلي أو إلى مزيدٍ من الصراعاتِ والحروب؟

هل الإيمان بالله اختيار حقيقي أو أنه موروث؟

هل يمكن إثبات وجود الله عن طريق الأدلة العقلية فقط، أو أننا بحاجة إلى الإيمان القلبي بالغيب؟

هل الإلحاد هو إنكار لوجود الله فقط، أو أنَّ له ألوانـــًا متعددة؟

كيف يكون هناك خالق لهذا الكون مع وجود كل هذا الشر في العالم؟

وغير ذلك من الشبهات والتساؤلات التي تحتاج إلى نوعٍ من التدقـــيـــق والتمحيص.

لقد أصبح الإلحاد واقعًا نشهده جميعًا من خلال صفحات الشبكة العنكبوتية والفضائيات، وفي ظل قِـــلة التصانيف في هذا الجانب فسوف نحاول من خلال هذه الدراسة عرض رؤيةٍ جديدة لمناقشة هذه القضية؛ وذلك بتتبع منهج المفسرين قديمًا وحديثـــًا في الرَّد على حجج منكري الألوهية، وكيف يمكن الإفادة من ذلـــك المنهج في طرحٍ جديد للخطاب الديني بصفة عامة، وفي هذه القضية خاصة من خلال تفعيل منهج الحجاج وآلياته، فقد وجدت الباحثة أن عرض هذه القضية في إطار منهج الحجـــاج سيكشف لكـــل الـــمهتـــميـــن بقـــضيـــــة (إثبات الألوهية) جوانبَ جديدة في دراسة هذه القضية، فـــلن تقتصر الدراسة على سرد الشبهات التي أثارها منكرو الألوهية، والرد عليها من خلال أدلة فطرية أو عقلية أو مادية فقط، ولكنها

ستوضح لنا هل الحُجج التي أثارها المفسرون للرد على هؤلاء المنكرين في منزلةٍ من القوة، أو أنها واهنة لا تتناسب وقوة القضية المطروحة، وماهي معايير قوة الحُجج؟ وكيف يمكن لنا أن ندرس الأدلة ونفندها بشكلٍ علميٍّ، وهل هذه الحجج يمكن إدراجها تحت مسمى(الحجاج)، أو أنها مجرد مناقـــشـــــات جـــدلـــيـــة؟

عنوان الدراسة :

مع تزايد معدلات منكري الألوهية باختلاف اتجاهاتهم في الفترة الراهنة اتجه نظر الباحثة إلى فحص مفهوم الإلحاد، ومعرفة اتجاهاته المختلفة، ومعرفة الأسباب الحالية لاتجاه الكثيرين الآن نحو الإلحاد، وإنكار فكرة الألوهية برمتها؛ ولهذا كانت فكرة البحث، وقد ترددت الباحثة كثيرًا في وضع عنوانٍ لهذه الدراسة فآثـــرَتْ تسميتها:

«قضية إثبات الألوهية في مذاهب التفسير الإسلامي– دراسة حجاجية»

وأشير إلى عدة نقاط تتعلق بهذا العنوان:

أوّلًا: المقصود بمصطلح (قضية) أنها (أدلة)، أي أنَّ الباحثة ستتكئ في الرسالة على أدلة إثبات الألوهية في شرح القضية ،وفي تقسيمات الدراسة، وعند مطالعة كتب التفاسير، وكذلك كتب العقيدة والفلسفة، وقد وَجَدَت الباحثة أنَّ معظم كتب العقيدة تميل إلى تقسيمٍ ثلاثي ألا وهو : أدلة فطرية، وأدلة عقلية، وأدلة غائية. وأما بالنسبة للـــفلاســـفـــة فقد قسموا الأدلة تقسيمًا

رباعيًّا،[1] وهو: دليل الممكن والواجب، ودليل المُحَرِّك والمتحرك، ودليل العناية والغاية، ودليل الاختراع.

وعلى هذا استنبطت الباحثة من هذه التقسيمات تقسيمًا يجمع بين هذين التقسيمين، وهو الأميل لطبيعة الدراسة، وهو:

١- دليل الخلق.

٢- دليل الملك.

٣- دليل العناية والرعاية.

٤- دليل السببية.

٥- دليل التنزيه والكمال.

٦- دليل الحاجة والضعف.

تقسيم الدراسة:

فقد قسَّمتُ الدراسةَ إلى مقدمةٍ وتمهيدٍ وبابينِ وخاتمة.

أما المقدمة: فقد عرضتُ فيها هدف الدراسة وعنوانها، والدراسات السابقة للموضوع، وذكرتُ ما تميزت به هذه الدراسة .

والتمهيد: جاء لعرض الحقل الدلالي لموضوع الدراسة ومنهجها، وذكر أهم آليات الحجاج.

---

[1] للرجوع لتلك التقسيمات والاستزادة منها انظر: عبدالكريم نوفان عبيدات ، أدلة الفلاسفة على وجود الله (دراسة نقدية)مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، ، ٢٠٠٣م، الأردن.

والباب الأول: كان بعنوان قضية إثبات الألوهية، وقد تم تقسيمه إلى فصلين:

الفصل الأول: يتناول أدلة إثبات الألوهية، ويناقشها في ضوء كتب التفاسير.

والفصل الثاني: يتناول دلائل منكري الألوهية وأهم الحجج التي أثاروها.

والباب الثاني: بعنوان الحجاج وقضية إثبات الألوهية، وقد تم تقسيمه إلى فصلين:

الفصل الأول: يتناول الحجاج اللغوي، ودوره في قضية الدراسة.

والفصل الثاني: يتناول الحجاج البلاغي والمنطقي وأثرهما في قضية الدراسة.

وخاتمة: لعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

مصطلح الألوهية :

فإثبات الألوهية يعني:

"التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي بإثبات ذات الرب جلَّ وعلا، فهذه العلويات والسفليات لابد لها من موجدٍ أوجدها، ويتصرف فيها ويديرها، ومحال أن توجد بدون موجد ومحال أن توجد أنفسها، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ

هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾"(سورة الطور: ٣٥-٣٦)"[٢]

مذاهب التفسير الإسلامي:

يُصَدَّق على القرآن ما قاله في الإنجيل العالم اللاهوتي التابع للكنيسة الحديثة- بيتر فيرنفلس:" كل امرىء يطلب عقائده في هذا الكتاب المقدس، وكل امرىء يجد فيه على وجه الخصوص ما يطلبه."[٣]

فكُلُّ تيارٍ فكري بارزٍ في مجرى التاريخ الإسلامي- زاول الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس (القرآن)، وإلى اتخاذ هذا النص سندًا لموافقته للإسلام، ومطابقته لما جاء به الرسولﷺ، وبهذا وحده كان يستطيع أن يدَّعي لنفسه مقامًا وسط هذا النظام الديني، وأن يحتفظ بهذا المقام.

وكان هذا الاتجاه وتعاطيه للتفسير -بطبيعة الحال- هو المنبت لكتابة تفسير مذهبي سَرعان ما دخل في طور المنافسة مع التفسير السطحي البسيط.[٤]

ونظرًا لتعدد مذاهب التفسير الإسلامي فقد حاولت الباحثة الرجوع لأكبر عدد من كتب التفاسير التي تتوافق وخدمة قضية البحث، وسوف تتكئ

٢حافظ بن أحمد الحَكَمِي ، ت: طه عبدالرءوف سعد، معارج القبول بشرح سُلَّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، الإسكندرية، دار ابن خلدون، ج١، ص٣٩.(د.ت)

[٣] جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبدالحليم النجار، القاهرة، مكتبة الجانجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص٣.

[٤] ستتبع الدراسة (قضية إثبات الألوهية) في ضوء الآيات الخاصة بهذا الموضوع في ضوء مذاهب التفاسير المختلفة.

الدراسة على تفسير الكشاف للزمخشري بوصفه ركيزةً أساسية لاستخلاص آليات الحجاج، في حين أننا سنستشهد ببعض الأمثلة من عدة تفاسير منها: (الطبري- القرطبي- الرازي- عائشة عبد الرحمن ... إلخ)

وسنستخلص من تلك التفسيرات المتعددة كيفية تأثير النزعات المذهبية في التفسير، وتنوّع الأدلة الإقناعية التي عرضها المفسرون في قضية الدراسة.

دوافع الدراسة:

ناقش كثيرٌ من الباحثين والعلماء والفلاسفة والمتكلمين قضية الألوهية، وانقسم الدارسون لفريقين في هذه المسألة بين مؤيدين ومعارضين لمسألة الألوهية، وتحاول هذه الدراسة استقصاء هذه القضية في كلا الفريقين في ضوء التفاسير القديمة والحديثة، وتحديد موقع هذه القضية في الفكر الإسلامي المعاصر؛ والهدف من ذلك أن نبيّن بالعلم والعقل الإجابات المقنعة في الرد على من يشكك في وجود خالق لهذا الكون، وليس هدف الدراسة هو الضرب بيدٍ من حديد على أصحاب هذا الفكر، ولكنها محاولة لتوضيح خطر انتشار هذا الفكر على أصحابه، وعلى تماسك المجتمع.

دراسات سابقة:

الاطلاع على التراث السابق لأي فكرة بحثية يعد من أساسيات البحث العلمى الجاد، فلابد أن يطالع الباحث كُلَّ ما كُتب في موضوعه؛ ليقف على أرضٍ صُلبة من تلك الفكرة وإلا سيقع في مأزقين، هما: أنه سيكرر ما قد قيل سابقًا، أو أنه سيعود بالموضوع إلى نقطة البدء من جديد.

وعلى هذا ستحاول الباحثة استقصاء الدراسات التي تناولت فكرة الألوهية على حينَ أنَّ قضية الألوهية لم تدرس من قبل دراسة حجاجية وهو موطن الجدة في البحث ؛ وذلك لتجنب ما تم دراسته سابقًا.

١- حصل الباحث **محمد مدحت محمد الشربيني** على درجة الماجستير من قسم الفلسفة، كلية الآداب- جامعة المنوفية، بعد أن تقدم بدراسة بعنوان:"مفهموم الذات الإلهية بين التشبيه والتنزيه في اليهودية والإسلام- دراسة مقارنة بين بعض الفرق الكلامية".

وقد عــمد الباحث في هذه الدراسة إلى عقد مقارنة بين الذات الإلهية في العقائد اليهودية، وبعض الفرق الإسلامية التي تقول بالمجسمة والكرامية، وقد توصل إلى مايلي:

- أن مفهوم الوحدانية وإثبات وجود الله تعالى كان من أهم الدعوات إلى توحيد الله.
- أن الصفات الإلهية في الدين اليهودي قد وردت مشوهة قاصرة يشوبها النقص والتشبيه.

٢- حصل الباحث **شحاته حافظ محمد الشيخ** على درجة الدكتوراه من كلية الآداب- جامعة بنها قسم الشريعة الإسلامية، بعد أن تقدم بدراسة بعنوان:"قضية الألوهية بين السلف والأشاعرة- الإمام ابن القيم والإمام الجويني, دراسة مقارنة".